الانتحار

قصدت يوماً شاطئ البحر . وهناك جلست في ظل صخرة كبيرة بشكل صليب . وما ان جلست حتى صمتت الصخرة لتقول :

« ما اثقل الحياة ! فصول تتعاقب . واجيال تتزاحم . والسماء هي هي . والارض هي هي . لقد سئمتُ الشمس تطلع ثم تنزل . والقمر يتجوّف ثم يستدير . والنجوم تفتح عيونها في الليل وتغمضها في النهار . والارض تحبل في الشتاء وتلد في الربيع . وتحي بنيها في الصيف وتأكلهم في الخريف لتعود وتحبل بهم ثم تلدهم من جديد

« سئمتُ الريحَ تلفحني سمومها في عينيّ والنسيم متنهداً حسراتهِ في اذنيّ . والضباب ناشراً اكفانهُ حواليّ . والسحاب متقيئاً أمعاءهُ عليّ . وهذه الطيور — طيور البحر والبرّ — لعمري انها اوقح ما في الكون . فهي لا تخجل من ان تجعل قمة راسي محطة لها في غدواتها وروحاتها . هناك تقيل . وهناك تتنازع وتتحابّ وتتزاوج . وتقيم مآتمها واعراسها . ثم ترحل تاركةً لي اوساخها

« وهذه الاشجار التي تضغط عليّ جذورها . وتلتفّ من حولي اغصانها . وتتناثر فوقي اوراقها — لله ما احمقها في افراحها . واحمقها في اتراحها !

« انها لحياة ضوضاء وشقاء . فليملق بها من شاء من البلهاء والضعفاء . امّا انا فاني اؤثر الفناء على مثل هذا البقاء . فابتلعيني ايتها اللجة ! »

وعندها تململت الارض قليلاً . وتثاءب البحر . فهوت الصخرة من شاهق علوّها الى القاع . ومشت فوقها مواكب الامواج

***

وكان مساء . وكان صباح

وكان ان خرجتُ يوماً الى البحر اطلب درّهُ فقصدت الشاطئ حيث كانت الصخرة . ومن هناك رميت بنفسي في الماء . وعما قليل وجدتني بجانب صخرة معلّقة تكتنفها اوحال البحر والياقوت . وتسرح حولها قطعان اسماكه . فالتقطت واذا في الالياف عناقيد من اللؤلؤ . واذ دنوت لالتقطها صمتت الصخرة لتقول :

« ما اثقل الحياة ! اوحال والياف واسماك وامواج . تروح وتأتي وهي هي. فالذي رأيتهُ امس اراهُ اليوم وسأراهُ غداً . والذي سمعتهُ امس اسمعهُ الآن وسأسمعهُ الى الابد . فهل بعد هذا الضجر من ضجر ؟

« ليتني عمياء وخرساء وصمّاء . فما هذه الحياة الاّ حياة ضوضاء وشقاء . لا يطيق بها الاّ الضعفاء والبلهاء . فانتشاني ايتها الفناء من مثل هذا البقاء ! »

وتململت الارض قليلاً . فارتدت امواج البحر الى الوراء. وتخلّت اليابسة عن بضعة اذرع من ميدانها . فانكشفت للشمس اوحال واصداف والياف وحجارة كثيرة . وبينها الصخرة المصلّبة

***

وكان مساء . وكان صباح

فقصدت شاطئ البحر حيث الصخرة المصلبة . فرأيت سرباً من طيور البحر يتشمس عليها . واشجاراً مقببة تتمايل عن جانبيها . وبساطاً من الازهار الفرّاحة تتماوج عند قدميها وما دنوت منها حتى سمعتها تقول :

« ما اثقل الحياة ! فصول تتعاقب . واجيال تتزاحم . والسماء هي هي . والارض هي هي . انها لحياة ضوضاء وشقاء . لا يطيق بها الاّ الضعفاء والبلهاء . فالفناء ولا هذا البقاء . ألا فابتلعيني ايتها الهوة ! »

وما اتمّت الصخرة المصلّبة كلامها حتى هبط عليها من الفضاء الاعلى نيزك كبير فطحنها طحناً مبدّداً ذرّاتها في الهواء . ولما استقرّ به المقام التفت الى ما حواليه وقال :

« وطنٌ جديدٌ . وعمرٌ جديد . ألا سبحانها حياةً لا تطرحني بيدٍ إلاّ لتلتقطني بالاخرى . فانا في قبضتها اينما هويت . وكيفما التويت . وسأظلّ في قبضتها الواسعة الى ان تصبح يدي التي لا تحدّ »

ليو يورك ميخائيل نعيمه